المسلم بين اتّباع القوّة أو الحقّ

(خطبة الجمعة للشيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 8 جمادى الثانية 1434هـ الموافق لـ 19 أفريل 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعة وكلّ بدعةٍ ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

المسلم بين اتّباع القوّة أو الحقّ

معاشر الإخوة الكرام،

النّاس في الحياة صنفان، صنفٌ يدور حيث تدور القوّة، وصنفٌ يدور حيث يدور الحقّ والصّواب، ولا حقّ ولا صواب إلاّ في الكتاب والسّنّة.

الواقع يقول أنّ أكثر النّاس تستميلهم القوّة، يستميلهم المال، يسيرون وراء النّفوذ، ذلك لأنّ اختيارهم بَنَوْهُ على تحقيق المصالح والمنافع، لا على كسب رضا المولى تبارك وتعالى، ومن هنا زلّت أقدامهم وانحرفت سلوكاتهم، فاختاروا سبيل الغيّ عن سبيل الرّشاد.

ولقد قصّ علينا ربّنا جلّ وعلا، كيف يتنكّر أهل القوّة لمن اتّبعهم، ويتنصّلون منهم يوم القيامة:

" إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿166﴾ " سورة البقرة.

وقال سبحانه:

" قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿32﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿33﴾ " سورة سبأ.

" وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿113﴾ " سورة هود.

إخوتي الكرام،

إنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم لم يتركنا بدون توجيهٍ، بل إنّه صلّى الله عليه وسلّم تنبّأ بِوَحْيٍ من الله تعالى، أنّ أفراد الأمّة سيأتي عليهم زمانٌ يواجهون فيه تيّاراتٍ وأفكارًا ومناهج ما أنزل الله بها من سلطانٍ، فأعطانا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم السّبيل السّليم والطّريق القويم الّذي يقينا الزَّيْغَ والضّلال والإنحراف.

روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، يقول:

{ كان النّاس يسألون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الخير، وكنت أسأله عن الشّرّ مخافة أن يُدْرِكَنِي، فقلت: يا رسول الله!، إنّا كنّا في جاهليةٍ وشرٍّ فجاءنا الله بهذا الخير،

{ يشير إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر، والقتل بعضهم بعضًا، والنّهب وإتيان الفواحش }.

(فجاءنا الله بهذا الخير) أي الإسلام وأحكامه المحقّقة للأمن والأمان عن الأنفس والحرمات والأموال.

فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟، قال: نعم،

وفي رواية ابن أبي شيبة: (**فما العصمة منه؟**)، أي من ذلك الشّرّ، **قال:** (**السّيف**)، **فقال:** (**فهل بعد السّيف من تقيةٍ؟**)، **قال:** (**نعم هدنةٌ**)، **{ والمُراد بالشّرّ ما وقع من الفتنة من بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهلمّ جرًّا }.**

فهل بعد ذلك الشّرّ من خيرٍ، قال: نعم، وفيه دخنٌ،

{ أي فيه فساد القلب }، { إشارةً إلى كل مكروهٍ }، وقد يفسّره حديث: (**لا ترجع قلوب القوم على ما كانت عليه**) .

قال حذيفة: وما دخنه؟، قال صلّى الله عليه وسلّم: قومٌ يستنّون بغير سنّتي، ويهدون بغير هَدْيِي، تعرف منهم وتُنْكِر،

وفي رواية أبي داود: (**يكون بعدي أئمّةٌ لا يهتدون بِهُدَايَ ولا يستنّون بسُنَّتِي**).

ففي حديث أمّ سلمة عند مسلم: (**فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**)، أي الثّالث هالكٌ.

وفي صحيح أبي داود للألباني: (**ستكون عليكم أئمّة تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر بلسانه فقد برئ، ومن كره بقلبه فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، فقيل: يا رسول الله أفلا نقتلهم؟، قال: لا ما صلّوا**).

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟، قال: دعاةٌ على أبواب جهنّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها،

{ أي داعٍ إلى غير الحق على أبواب جهنّم، أي ما يؤول إليه حالهم، واحدٌ يدعو للعلمانيّة، واحدٌ للدّيمقراطيّة، واحدٌ للإشتراكيّة، واحدٌ للمصلحة الوطنيّة، واحدٌ يدعو إلى مواكبة العصر مخالفًا الشّريعة، طُرُقيّة، شيعيّة، قديانيّة، تيجانيّة، بهائيّة }.

قلت: يا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، صفهم لنا، قال: نعم قومٌ من جلدتنا ويتكلّمون ألسِنتنا،

{ أي من قومنا ومن أهل لساننا ومِلّتنا }.

ومعناه أنّهم في الظّاهر على مِلّتنا، وفي الباطن مخالفون، وفي رواية أبي الأسود: (**فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشّياطين في جثمان الأنس**)، هناك شياطينٌ بسبب الجهل، وشياطينٌ بسبب اتّباع الهوى، وشياطينٌ بسبب اتّباع القوّة والمال.

يقول ابن حجر في الفتح: { **والّذي يظهر أنّ المراد بالشّر الأوّل ما أشار إليه من الفتن الأولى** (موقعة الجمل وقتل عثمان)، **وبالخير ما وقع من الإجماع مع عليٍّ ومعاوية، وبالدّخن ما كان في زمانهما من بعض الأمراء، كزيادٍ بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج** }.

والدّعاة على ابواب جهنّم، من قام في طلب المُلك من الخوارج وغيرهم، وقد يكون دعاة العلمانيّة، والدّيمقراطيّة، ودعاة التّحرّر، ودعاة المصلحة، والعلمنة، وغيرها ...

قوله: فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم،

وفي رواية أبي الأسود : (**تسمع وتطيع، ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك**).

وفي رواية خالد بن سبيع عند الطّبراني: (**فإن رأيت خليفةً فالزمه، وإن ضرب ظهرك، فإن لم يكن خليفةً فاهرب**).

{ حين قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، الجماعة هم الصّحابة، ومنهم من قال أهل العلم، لأنّ الله جعلهم حُجّةً على الخلق والنّاس تُبّعًا لهم }.

قال: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟، قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها، ولو أن تعضّ بأصل شجرةٍ، حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك }.

وفي رواية ابن ماجة: (**فلَإِنْ تموت وأنت عاضٌ على جذعٍ، خيرٌ لك من أن تتّبع أحدًا منهم**).

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله،

إخوتي الكرام،

إنّ الله تبارك وتعالى قد بيّن لنا عاقبة من يستند إلى قوّةٍ بغير هُدَى من الحقّ أي الكتاب والسّنّة، وأنّه مهما بلغت قوّة هؤلاء فإنّ مآل هذه القوّة وأصحابها إلى الزّوال والهلاك، ولذلك قال سبحانه:

" وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿45﴾ "

سورة سبأ.

أي كذّبت أممٌ سابقةٌ رُسُلَنَا وهم عادٌ وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط، وما بلغوا (أي مشركي قريشٍ) عُشْرَ ما بلغت الأمم السّابقة من القوّة والنّعمة وطول العمر وقد أَهْلَكْتُهُم، أي فما أنتم بمعجزيّ.

وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ لقريشٍ، ولكلّ من يستند إلى قوّته وسطوته من غير هدى من الله تعالى وكتابه، فإنّ مآله إلى الهلاك والزّوال والعاقبة للمتّقين.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.